المحاضرة 10

أهمية الأنثروبولوجية في حياتنا المعاصرة

في ظل هذه التطورات التي ساعدت الإنسان على التكيف وتسخير الطبيعة بدرجات عالية، وتذليل صعوبات الاتصال التي كانت تصنعها الحواجز والموانع الطبيعية، كالبحار والمحيطات والصحاري، و مجابهة تحديات الكوارث الطبيعية كالفياضانات والبراكين والزلازل، والأوبئة الفتاكة، غير أن بالمقابل نجد أن المستويات العلمية والاختراعات الهائلة في مجال الفيزياء والبيولوجيا والكيمياء قد أدى إلى صناعة تحديات ومخاطر جسيمة في حياة المعمورة والبشرية برمتها، فأصبح الإنسان تحت تهديد مخاطر حرب نووية مدمرة، أو حروب الفيروسات المصنعة والمطورة على غرار ما يجتاح كوكب الأرض هذه الأيام من جراء انتشار جائحة كورونا" كوفيد 19"، وأمام هذه التحديات والمخاطر ، وأمام المستقبل البشري، ما الذي يمكن أن تساهم به الأنتروبولوجيا كعلم الانسان؟ وهل لها القدرة على الاستشراف؟

لقد كان الأنتروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستروس في إطار المقارنة بين المجتمع البدائي والمجتمع الصناعي قد شبه الأول أي المجتمع البدائي بالساعة التي ترتبط بها سمات الانضباط، والإيقاع المنتظم والمتوازن، وذلك على عكس المجتمع الصناعي، الذي وجد فيه خصائص الآلة التجارية التي يكمن في تصميمها، وتشغيلها، وتدرج حركتها، عناصر الدفع، وعدم الاتساق والاستقرار، لقد تضمن المجتمع في الحياة البسيطة أكثر الأنساق الثقافية ملاءمة للحياة الإنسانية واستمراريتها، كما وجد من خلاله علماء الأنتروبولوجيا علاجا ممكنا لمواجهة أزمة الأزمات التي تواجه عالم اليوم، كما وجد من خلاله حلا ثقافيا وبديلا لعجز الثقافة المعاصرة عن مجابهة الموقف، فالمنظور المستقبلي يقوم على الجمع بين أفضل ما في العالمين القديم والمعاصر.[1]

إن التطورات الهائلة في مجال البيولوجيا وتحديدا الهندسة الوراثية، وفي مجال الإعلام والمعلومات والاتصال، وما أحدثته من انقلابات في شكل المجتمعات، فأصبحنا نعيش اليوم ضمن مجتمع المعرفة، وتدفق المعلومات وسرعة الاتصالات، وانتشار أساليب رقمنة الحياة فأضحى الإنسان رقما وحياته رقمية، أنه عالم الثورات حقا، وفي هذا الخضم تتموقع الانتروبولوجيا كعلم الإنسان، مشخصة لهذا الواقع المعاصر ومحاورة له، محاولة الحفاظ على كينونة الإنسان، راسمة السبل وفق مكون ومنطق ثقافة كل مجتمع عن سبل الاستفادة من معارف واكتشافات وابتكارات ما نعرفه من ثورات معلوماتية، وإيجاد سبل التكيف، والبحث عن آليات الحفاظ على ضرورات استمرار حياة الإنسان.

يؤكد العصر الحالي تطور الأنثروبولوجيا التي انتقلت باطراد من دراسة الشعوب إلى دراسة الموضوعات. من الخطأ بمكان أن الحركة حركة راديكالية جديدة. لم يقم كل من إميل دوركهايمÉmile Durkheim ومارسيل موس

---

[1] – حسين فهيم: المرجع السابق.

Marcel Mauss بقطيعة جذرية بين المجالات الغرائبية وبين القريبة بل حاولا القيام بتحليل مفصل وكامل لمجتمع خاص، إنما أقل من دراسة مواضيع كالسحر والدين والتضحية والهبة وتقسيم.[2]

فمنذ نهاية سنوات 1960 من القرن الماضي لاحظ الجيوبوليتيكي زبيغنيو بريجنسكي، المستشار المقبل للرئيس كارتر في موضوع الأمن القومي، أن مجتمعا شاملا يوشك أن يولد تحت تأثير " الثورة التكنولوجية" وأن المجتمع الأمريكي الذي يتولى زعامتها بطبيعة الحال هو الصورة الأولى لهذا المجتمع، وأن نمط الحياة الأمريكي هو بمثابة المرحلة القادمة بالنسبة إلى البشرية كافة، ولئن كانت الولايات المتحدة قادرة على ادعاء هذا الموقع كمنارة لحضارة عالمية جديدة، فذلك بفضل " الجاذبية الثقافية" التي تمارسها العالم، أزياؤها، أفلامها، معلوماتها، مآثرها العلمية[3]

إن الحرب الشاملة "Global war" على الإرهاب أو الحملة الصليبية ضد محور الشر عجلت في تلاقي استراتيجيتين منفصلتين حتى اليوم، فالأنموذج الجديد لأمبراطورية يمفصل استعمال القوة والهيمنة على الآليات الاقتصادية والمالية، من الآن فصاعدا صار العنف جزءا أساسيا في تطبيق المشروع الاقتصادي الشمولي، وبكلام أفضل " تشكيل العالم Shaping the world "، أداتهما المشتركة: السيطرة على الزمن الالكتروني، النظر والاستهداف في زمن حقيقي، إن هذا الدمج المبتدع بين القوة العسكرية والقسر الاقتصادي وسع كثيرا مدار عمل الدعاية، المناورة والكذب الإعلامي، الذي يفقد الثقة أو الاعتقاد بحلول اندماج المجتمعات الخاصة في السوق الشاملة من طريق الفعل الأيضي لأنماط الإعلام والتواصل الشاملة.4

وفي ظل هذه التحولات العميقة والرهيبة في حياة البشرية، هل يمكننا أن نتساءل وبالعودة إلى الخلف قليلا شأن ما ألف رالف لنتون بعد نهاية مأساة الحرب العالمية الثانية عن :" دور الأنتروبولوجيا حيال أزمة العالم الحديث" ما موقع الأنتروبولوجيا في هذه الحياة المعاصرة؟

يمكننا الاستعانة بطروحات مارك أوجي من خلال كتابه:" أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة" حيث يرى أنه ينبغي التغيير من "الوقفة" النقدية، ذلك أن مذهب المراجعة الأنثروبولوجية الملح خلف آثارا ايجابية بتعويد علماء الأنثروبولوجيا على تنوع أوجه النظر، وبإعادتهم الى ضرورة التجربة، وبجلب انتباههم الى ظروف صياغة معرفتهم أو فرضياتهم، فتعلموا عدم الاكتفاء بالكلام المبهم والتنقل في "عالم من الاعتراف" reconnaissance ...ان الظواهر المؤرخة أو الحالية كالنمو الديموغرافي، التوسع العمراني، تطور وانتشار الاتصالات السلكية واللاسلكية... قد تغلغلت الى التعقيد المكشوف بملاحظة محسنة، تسهم في هذا التحسين، وتخلق شروط معاصرة فعلية ومعاشة... لعله حان الوقت

---

[2]– مارك أوجيه وآخر : أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ترجمة طواهري ميلود ابن النديم للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر، 2016.

[3]– أرمان ما تلار: التنوع الثقافي والعولمة، دار الفارابي، بيروت 2008.

[4]– أرمان ما تلار: المرجع نفسه.

في ميدان الأنثروبولوجيا لأن أحداث الساعة بمختلف جوانبها تستدعي ذلك، ولأنها استنفدت تزامنا مع ميادينها الأولى كل امكانية نقد ذاتي لماضيها، أن تضطلع بدور طلائعي وتقترح لليوم وللغد عناصر نقد استشرافي.[5]

ان الأنثروبولوجيا ممكنة في وحدة وتنوع المعاصرة الحالية ليس هذا وحسب، بل وضرورية أيضا، وهي كذلك، لأن مسألة المعنى الاجتماعي هي حيثما كانت حاضرة حضورا واضحا أو ضمنيا، وهي ممكنة شريطة أن تسمح لها تقاليدها المتميزة بالتفكير النقدي الذاتي بالتكيف مع تغيرات التاريخ، وتغيرات على السلم المتناسب معها، لأن تغيرات السلم هذه تؤثر في جميع جوانب الواقع الامبريقي الذي يلاحظه عالم الأنثروبولوجيا، والتلاؤم معناه قبل كل شيء أن تقر بالنهاية النهائية للقسمة الكبرى، ولذا نقول أن ساعة بناء أنثروبولوجيا تعم الكوكب برمته قد حانت وحل زمانها. 6

---

[5]– مارك أوجي: المرجع السابق.

[6]– مارك أوجي: المرجع السابق.